ليديا وكريـــم

فوجئت بقدوم ليديا وأنا على وشك أن أخرج الى مكتبي، فبعد قطيعتها مع الدكتورة أسماء ما عدت أعرف طريقة للإتصال بها وإخبارها أن وسيم خلال الأشهر الماضية التي ذهب فيها الى المدرسة أصبح يتكلم اللغة الفرنسية كأبناء صفه فـي الحاجـات اليوميـة للحديث والقراءة، وكان متفوق حتى أنهم نقلوه الى الصف الثاني في منتصف العام مـع التلاميذ الذين يماثلونه في العمر.

رحبت بليديا وجلست معها في غرفة الضيوف، فليست القضايا في مكتبي بـالتي لا يمكن تأجيلها، لأعرف قصة ليديا وسبب مجيئها عندي.. ابتدرتني بقولها:

-كريم هل ينزل عندك؟

-لا، ان له بيته، ومكان عمله في المستشفى..

-أعطني رقم تلفونه أريد أن أحادثه..

-هو ليس في بيروت..

-أعرف أنه تزوج دكتورة أسماء.. قرأت ذلك في الصحف.. متى يعود؟

-لاأعرف تماما، ربما بعد أسبوع أو أقل أو أكثر حسب الإجـازة التـي أخـذها.. فالعمل يلح عليه..

-في أي مشفى يعمل؟

-في المشفى التابع للجامعة الأميركية.

-أعرفه، كانت الدكتورة أسماء تأخذني اليه للفحوصات..

-كيف حالك الآن؟ هل زالت الآلام التي تنتابك؟

-تعاودني من حين لآخر.

-ألم تراجعي طبيبا بهذا الشأن؟

-أخذني أخي أسعد الى طبيب من أصدقائه في بيروت، فقال لـي بـأنني سـليمة معافاة..

-ولماذا تنتابك الآلام؟

-قال بأنها تشنجات عصبية وأعطاني مسكنات.. انني اعرف سببها فكلمـا ذكـرت ابني وسيم تنتابني الآلام.. هل علم كريم بأن له ابنا مني؟

-نعم رأى صوره على الكومبيوتر عندي.

-أخبريني نبيلة كيف كان وقع هذا على كريم؟

-يريد أن يسترده فيعيش معه..

-متى سيفعل؟

-انه مطمئن عليه الآن..يريد فقط أن تستقر أحواله في لبنان..

-هل سأل عني يوم جاء الى لبنان؟

-نعم، قلت له انك متزوجة من غانم، وهو اليوم نائب في البرلمان عن ريف بيروت..

-وكيف تعرف الى الدكتورة أسماء؟

-أسماء كانت تعمل في نفس المشفى قبل مجيئه ونفس القسم..

-ما هذا الحظ التعس الذي يلاحقني؟ كان يجب أن يلتقي بي قبل أن يتعرف الى أي كان.. ليعرف أنني ما أحببت رجلا سواه، وأنني كنت سعيدة بالمولود الذي أحمله منه، وأنتظر اللحظة الي أذهب فيها اليه فيشاركني الفرح الذي أحس به..

-أتيحت لك هذه الفرصة ياداليا.. قام والدي بواجبه نحوك ونحو وليدك، ولكن أنت التي تخليت عن كريم وعن طفلك..

-غانم هو السبب..لا سامحه الله، كنت أعرفه من قبل فهو ابن ضيعتي وصديق أخي.. قلت لنفسي "أذهب اليه فيسهل لي معاملة سفري" قال لي:

أتظنين ابن الأكابر يستقبلك بالأهلا والسهلا ياحبيبتي داليا..قديش مشتاق لك ياروحي، يا عيوني! يرميك الى الشارع، ولا يعترف أبدا أن المولود هو ابنه.. بترجعي لأهلك حاملة عارك؟ أو تبقي في بيروت تبيعي جسدك لأي كان؟

أخذت داليا بالبكاء..

-ما عدت أقدر أعيش معه.. لا يتركني أتنفس.. حرمني من ابني تسع سنين.. طلبت منه الطلاق، ولكنه لايريد.. لا حبا بي، ولكن "برستيج" أمام الناس.. أنا ان ما تركته ما رايح يكون لي ولد غير وسيم.. رحت باريس عند ابني أشوفه.. ما بده يتبنى ولد معاق ويصرف عليه قالها لي بصراحة.. أما أنا حبي لوسيم زاد بسبب ما أصابه..

رأيته يتيما لا أب له ولا أم ترعاه.. أما الآن والده عاد ليـستردّه وتغيـرت كثيـر مـن الأسباب التي جعلتني أوافق على تركه لعمه يرعاه..

-ماذا ستفعلين؟

-أريد أن أستردّ وسيم ، فأنا أحق به من امرأة غريبة..

-ولكن دكتورة أسماء ليست ككل امرأة.. انها مناسبة لتكون أما لوسيم..

-انها مشغولة عنه بعملها، وليس لديها فراغ له.. أما أنا فانني سأكرس حياتي لحبه، سأنفصل عن غانم وأعيش له. لدي من المال والمجوهرات ما يكفيني العمر كله.. أضعه في أحسن المدارس..و..

-ولكن يا داليا ليس الأمر بهذه السهولة بالنسبة لكريم..

أنا أعرف كريم، أنا المرأة التي أحبها، كان ما بيننا رائعا لا يمكن له أن ينساه.. قد تكون أسماء أكثر مني ثقافة وحكمة وذكاء، ولكنني أكثر جمالا وجاذبية.. أسـماء أكثـر رجلا منها كأنثى، وأنا عاطفية مجنونة بمن أحب.. لا شيء يقف في طريـق عـاطفتي الهوجاء لأسترد وسيم ومعه كريم.. أرضى معه بأي وضع.. كأن أكون زوجة ثانية لـه، أو عاشقة خادمة في بيته، أرعى وسيم قربه..

* * *

فاجأني كريم وأسماء حين عودتهما من شهر العسل بعد أسبوع أمضياه في باريس في منزل عبد الرحمن، وكنت أظنهما ذهبا للتزلج في الجبال.. قالت أسماء:

-جبالنا قريبة منا نذهب اليها في أي وقت، ونحن والبحر جيران.

كانت مشرقة بفرح داخلي لمسته في ضحكتها وتصرفاتها. وعرفت أن كريم وجد فيها فتاة أحلامه بعد أن تاه عشرة أعوام في أحلام المراهقة ونزواتها ورغبات الإستقرار في عالم غريب عليه. أخرجت أسماء الصور التي التقطها لهما عبد الرحمن معا أو برفقة وسيم في أماكن متعددة زاروها معا..قلت لكريم:

-هل عرف وسيم بأنك أبوه؟

-لا.. أجلت الأمر حتى تنتهي سنته الدراسية.. كانت زيارة تأقلم، فالطفل حساس وهو مولع بعبد الرحمن..

وأردفت أسماء:

-وسيم أحبنا كثيرا ونحن أحببناه، وسنبقى على اتصال به مباشرة، فقد أهداه كريم موبايل ليتصل بنا مباشرة، ولن يشعر بالغرفة في الصيف حين نستضيفه عندنا ليعيش في جونا ويألفه..

-هل أخبرتماه بموت أمه ثريا؟

-لا، سيعلم بالأمر حين يأتي الى بيروت ويرى جهاد، فيكون الأمر أسهل عليه حين يتقاسم حزنه مع أخيه.

أكبرت في أسماء حكمتها وقلت لنفسي "بمثل هذه المرأة تبنى البيوت وليس بالعاطفة الهوجاء التي تتملّك داليا..لم أخبر كريم وأسماء عن زيارة داليا لـي واصـرارها علـى استرداد وسيم، وما دامت زيارته لبيروت تستغرق بضعة أشهر فانني تركت التفكير فـي هذا الى الزمن المناسب..

* * *